

في الأدب الإيطالي الحديث

تمة

بقلم محمد أمين حسونه

الأدبي تمهيداً لتشييد صرحه فوق أنقاضه ، لكنه لم يهدم في
النهاية سوى نفسه ، حتى إن فلسفته أوشتت أن تموت في
أذهان القراء
المدرسة الإيطالية

وقبل التحدث عن أثر المدرسة الإقليمية في الأدب الإيطالي
الحديث يحسن بنا أن نتحدث عن خصائصها ومميزاتها ، فهي
تلتبس أسلوبها في فن جيوفاني فرجا Giovanni Verga وتميل
بمض الشيء إلى الرواية الهادئة التي تقوم على ذكريات خاصة
خالية من روح التكلف ، وإلى الحياة الفطرية الساذجة ، والمودة
إلى أحضان الطبيعة مع إحياء الطابع القومي الخاص في الأدب
الإيطالي الحديث

وإذا اعتبرنا أن المذاهب الأدبية في إيطاليا تقوم على
الوجدانيات المبالغ فيها ، والخيال الشعري ، والوطنية المتأججة ،
أمكنا أن نوازن بين الفن الروائي القديم وبين الفن الذي ابتدعه
فرجا ؛ فهو يقوم على الحس والمشاهدة الملموسة مع تصوير
المعادن والأخلاق والحوادث التاريخية البارزة

وربما كان فن المدرسة الإقليمية يمت بأقوى الصلات إلى
اسكندر ديماس ، وأسلوبها الكتابي إلى جورج صاند التي سبق أن
قضت فجر شباهها في ربوع إيطاليا ، وكان لجو البندقية الشعري
أثر بليغ في روحها الثنائية

لقد نشأ (فرجا) في مدينة كاتانيا بجزيرة صقلية ، وطوف
بأنحاء إيطاليا بقصد التبشير بفنه الجديد ، وتكوين جميات أدبية
في كل من فلورنسا وميلانو . وقد ساعده على ذلك أن عصره كان
يسوده الهدوء الطبيعي وتطور القلائل السياسية . ومن السهل أن
نتمس في روايات فرجا ظل الحياة الصقلية فهي مسرح فنه
ومهبط وحيه . وقد رسم لنا في بعض رواياته الفنتة « كالارادة
السيئة » طفيان حكومات عهد الانقطاع على صقلية وأساليب
جمية المائيا الاجرامية التي ظلت تبسط سطوتها على الجزيرة زهاء
ثمانية قرون . وكان رائده في كل ما يسرده من الوقائع الاخلاص
والشعور الرفيف . فرواياته من هذه الناحية ليست ذات قيمة
أدبية فحسب ، بل يمكن اعتبارها من الوجهة التاريخية وثائق
مشرقة للحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاق والمعادن في
الريف الإيطالي

وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا مغزى لها فاننا نلح بين

وقد ذكر بايني أن هذه الرواية هي قصة جيل كامل .
والواقع أننا لا نلح فيها سوى أثر الآلام التي يشكو منها جيل
الثقنين من المرضى النورستانيين ، الذين تسلط عليهم الأفكار
السوداء ، فوقف تقدمهم الفكري دون الخلق والابداع .
وقد حاول بايني في هذه الرواية أن يطبق أصول الفلسفة العملية
« البراجماتزم » ، وأن يخلط الجذ بالهزل ليخرج لنا الحقائق
الفاجعة ، والسخرجات المرة اللاذعة

أما كتابه الذي أصدره في غضون الأعوام الأخيرة بعنوان
« جوج » ففيه يتقد بقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية
والدينية ناقماً على الثقافات التي تقود العالم إلى الدمار والحرب
ما خلا الثقافة اللاتينية ، فهو يزعم أن في استطاعتها وحدها أن
تنقذ العالم من الويلات التي يتردى في أعماقها

والواقع أن بايني إنما يستقي فنه من تيار سابق لتفكير
بيراندلو . والفرق بينهما أن بيراندلو استطاع أن يتخلص من
آثار العقل الخصب ، وأن يخلع على أبطاله ظلاً من روح الفكاهة
والمرح . أما بايني فلقرط استغراقه في الفلسفة تراه يطبع رواياته
بهذا الطابع الجاف الذي يباعد بينه وبين تفكير الجيل

وفي الوقت الذي بدأ الناس يميلون إلى الروح الهادئة في الفن
الفصفي وإلى الشخصيات التي تمثل التضحية أو الاخلاص
أو المثل الأعلى ، يابجا بايني إلى غير قصصه بالنظريات الفلسفية ،
تاركا للقراء حرية تفسيرها في ضوء الحوادث . ولذا نلح أن معظم
أبطاله يعيشون في جو مظلم ، ويقاومون أعاصير الحياة عن طريق
المذاهب العقلية

ولعل في حياة بايني الأدبية عظة بالغة ، فهو يحارب الشعراء
لأنهم في نظره بلهاء كالأطفال ، وقد أخذ لنفسه منذ نشأته صفة
المجادل الذي يحاول مناقشة آراء خصومه عن طريق هدم مجدهم

أخيرا الى موت غير شريف ، ولا يبقى من آثارهم سوى صلبان سود ثلاثة في القبرة

ولعل شيكونيانى هو الكاتب الوحيد الذى يرتفع بفنه فوق مستوى المدرسة الاقليمية مما يذكرنا بالمدرسة التوسكانية التى ظهرت آثارها فى القرن التاسع عشر . ويخيل اليك وأنت تطالع الصور الفسدة التى يرسمها فى قصصه أنك تسير فى شوارع فلورانس . وتعد روايته « فيليا » من أحسن الروايات التى ظهرت بعد الحرب العظمى . فالروح الواقعية التى رسم بها المؤلف شخصية بطلته على أنها فتاة من عامة الشعب محبة لنفسها ، مجردة عن الضمير ، تخرج الى الهاوية جميع الذين يلتفتون حولها ، أروع حالات التصوير الاحساسى والتغفل فى أعماق النفس

أما بور جيزى مؤلف رواية « روبى » فهو من المؤلفين الذين توفروا على دراسة النظريات النفسانية الجديدة . وفى هذه الرواية ما يعطينا صورة واضحة من فنه ، فهى تحليل دقيق لنفسية رجل أنانى مجرد من العواطف الانسانية ، معذب بالشكوك والأوهام ، ليس فى مكنته مقاومة أعاصير الحياة ، فيقذف بنفسه فى التيار الذى يبعده شيئا فشيئا عن حقيقة الحياة إلى أن تدفقه المصادفة السيئة إلى الانتحار . « فروبى » كما رسمه المؤلف رجل لا شباب فيه ولا عاطفة ؛ وهو لا يعرف الأخلاق ، وغير قادر على أن يحب حتى نفسه . وعلى الرغم من تراخيه وكسله يحلم بأن يصل إلى شيء ، وإن الصفيتين الأساسيتين فى خلقه هما ضعف الارادة ورغبته الدائمة فى تحليل عواطفه ؛ وهذا التحليل هو الذى يشل روح حركته ، ويفقده توازنه ، ويقلب فى نظره المقاييس الصحيحة للحياة ؛ فمرة يحاول أن ينسى نفسه فى غمار الحرب ولكن دون حماسة ، ومرة يتزوج من امرأة دون أن يشعر بعيل اليها ؛ وهو معتقد أنه تزوج زواجا صالحا إنما هى المصادفة التى قادت به إلى هذه المرأة وجعلته يقترب منها ثم يقتلها . ولكن الواقع أنه تركها تموت كدأ من سوء معاملته ؛ وقد صور له الوهم أنه قتلها مع أن الشجاعة لا تؤاينيه لقتل حشرة حقيرة

أرب المستقبل

أسس هذه المدرسة بوتيمبلى مؤلف رواية « امرأة أحلامى » وكان الغرض منها مقاومة التحليل السادى فى القصة ، ومناهضة أساليب المدرسة الاقليمية ؛ ويمكن أن نعتبر عصرها عصر النفور

سطورها آثار العقلية الايطالية الخصبية ، ووصف الحروب الاستقلالية والمبارك البحرية فى الأدبىاتيك ، وأخلاق الطبقة الدنيا ، ومواقف غرامية مفاجئة ، ونظريات أخلاقية ونفسية ، وتحليل دقيق لأفراد أسرة فقيرة تحترف صيد الأسماك ، ظلت تكافح فى الحياة وتقاوم الحظ السيء الذى لازمها زهاء نصف قرن لقد كان فرجا يردد العواطف الصادقة فى فنه والحقائق القاسية ، وليس مذهبه فى الأدب سوى رد فعل لمدرسة كاردوتشى ، وعلى رغم أن هذا الكاتب العظيم كان أميل إلى الصمت وإلى الت الحفاظ فى الكلام تراه متدفقا كالسيل فى رواياته حتى كتب نيفا وثلاثين رواية طويلة وعشرات الأقاصيص . وقد وصفه النقاد رويناس بقوله : « كان ينفر من الشهرة ، ولكن الشهرة سمت إليه من حيث لا يدري . وكان شعاره دائما : فى هو مجدى ، وكتبي ترائى فى نظر الأجيال »

ومن كتاب المدرسة الاقليمية الذين اشتهروا خارج بلادهم عن طريق ترجمة أعمالهم الأدبية الى اللغات الحية الكاتب الروائى ماريو بوتشى . فى مؤلفاته نجد الجو الهادى الحزين ، وبالأخص فى حياة الريف . وهذه الصيغة التى تعطى رواياته طابعا الخاص تبيّن عبء الألم والبأس المنبعث منها . وقد حاول بوتشى فى بعض رواياته « كالمبريون » أن يتجو من الجو الظلم الذى يخلف على أبطاله ظلام الكآبة ، ولكن ما انصف به من الركود والتأثرات النفسية والتعلق بأهداب الخيال وغرامه بتصوير حياة القس والفلاحين والجنود جملة بمزمل عن كتاب الجيل المعاصر . والواقع أنه ليس فى فن هذا الكاتب أى أثر للصف أو الاندفاع ، إنما نحن من الأعماق أننا أمام شخصيات ابتدعها المؤلف فى هدوء ودقة ، كما كان أهل وطنه يصنعون الدمى الخشبية بمجهود شاق فى القرون الوسطى

وكان توتزى أقوى كتاب هذه المدرسة على الاطلاق ، ولكن الموت عاجله وهو فى قمة مجده . وإذا حكنا على ترائه الفنى أمكننا أن نقول إنه أخرج أعظم روايات الأدب الحديث . وفى فنه تتجلى روح البساطة والسير بأبطاله فى طريقهم الطبيعى ، ورسم مظاهر الانحطاط الانسانى بأسلوب مؤثر . ومن أشهر رواياته « الصلبان الثلاثة » وهى قصة ثلاثة إخوة يدرس بعضهم أخلاق بعض ، وتتقلب الفرزة والأنانية والجشع على أعمالهم ، ويتهنون